في الأدب الانكليزي

هل من انتحـــال
في الأدب الانكليزي ؟

للسيد جريس القسوس

— ٢ —

وحجة كامبل في ذلك اكتشافه مخطوطات قديمة ورد فيها ذكر (فنّ) و «أوشان» وغيرهما من الأسماء الواردة في منظومات مكفرسن، مما يدلّ على أن هذه الأسماء كانت، على الأقل، شائعة معروفة في اسكوتلندا وايرلندا الشمالية قبل مجيء مكفرسن. فلا يبعد أن يكون مكفرسن قد اطلع على هـذه المخطوطات فأعرم بحوادثها التاريخية وافتتن؛ فعلق بذهنه ما علق وتأثر بأسلوبها الشعري واقتبس منها بعض الشيء فظهر أثر ذلك في تلك المنظومات التي ادعى أنها مترجمة

وكامبل لا يجحد لمكفرسن فضله في جميع هـذه الآثار المتفرّقة وترتيبها وتدوينها حتى ظهرت بذلك الشكل الفني الرائع، إذْ لولاه لعبث الزمان بهـذه الآثار الخالدة عبثه بغيرها من القصائد التي تروى على ألسنة العامة، وخاصة أهل الأرياف، وسكان الصحراء

ولا يقف كامبل عند هذا الحدّ في الردّ على جونسن، بل يرى أنه من النادر أن تلقى واحداً من سكان ايرلندا الشمالية لم يسمع قط بالأسماء التي وردت في قصائد مكفرسن؛ وأن هذه الأسماء هي في الحقيقة محور عدد غير يسير من القصص العامية التي يتلوها الأمهات على أطفالهن حول المواقد في ليالي الشتاء الباردة

ويصرف كامبل جونسن، ويعود إلى مناقشة الآراء السخيفة التي يتمسك بها أنصار مكفرسن، وخاصة بروفسور أوكري Prof. O'Curry؛ فهذا وغيره من أنصار مكفرسن يرون أن (أوشان) وغيره من الأبطال شخصيات تاريخية حقيقية، وأنهم ايرلنديو النسب؛ نشأوا في القرن الثالث قبل المسيح؛ وأن (فنّ) يرجع في نسبه إلى نحو ١١٠ ق. م. وأن اسم Fene ورد في قصيدة نظمت سنة ١٠٢٤، وضُمنت كتاب بالميوت Ballymote بسنة ١٣٩١. أقول إن كامبل يردّ على ذلك رداً عنيفاً مبيناً تناقض الروايات المختلفة واضطرابها في تحديد نسب هؤلاء الأبطال وتبيان التاريخ الصحيح لنشأتهم. فبعض أنصار مكفرسن — ومعظمهم ايرلنديون — يرون مثلاً، أن هذه الأشعار الغالية صينت في مخطوطات قديمة، وأنها تنسب إلى أوشان وغيره من أبطال أساطير ايرلندا الأولية، وأن جميع هؤلاء الأبطال ايرلنديون لا اسكوتلنديو الجنس، بينما البعض الآخر يرى أن هؤلاء الأبطال نشأوا في عصر متأخر. بل منهم من يجعل (فنّ) اسكتلندي الجنس ومنهم من يجعله انكليزياً

وآخرون يرون أن البطل أوسكار الوارد ذكره في الأدب الايرلندي القديم اسكوتلندي الجنس والمولد، بل غيرهم موقنٌ أنه دنمركيّ برغم ورود اسمه في الأدب الايرلندي

ويزيد موقف الناصرين وهناً واضطراباً، نسبتهم الأعمال الجسيمة الباهرة التي قام بها أشخاص هـذه الآثار الأدبية إلى الكائنات الغيبية كالجنّ والآلهة المتعدّدة

ولا يقتصر كامبل على هـذا بل يعود إلى مهاجمة الناصرين من ناحية أخرى؛ فيقول إنه لم يطلع، في حياته، على مخطوطة أو سجل تاريخي فيه ذكر لملكة (مورفن) Morven أو ملكها فنغال. فمن أين جاء مكفرسن بهذه الأسماء التي تتخلل معظم أشعاره؟ ذلك مما يحمله على الاعتقاد الأكيد بأن هذه الملكة إنما هي من اختلاق جامع هـذه القصص الأوشانية ومرتبها، مكفرسن كان أم غيره

أما أوشان بن فنغال الشاعر الذي عزا اليه مكفرسن نظم الآثار الأدبية المعروفة باسمه، فأمره، كأمر والده غامض مبهم إذْ لا يمكن أن يعمر أوشان — مسلمين جدلاً أنه حقاً ابن (فنّ) — الى حدّ من الزمن يتمكن معه من الاجتماع بالقديس باترك St. Patrick، أو أن يختلط بنساء الجنّ في بلاد الشباب، ويتحوّل في شتى أدوار حياته من نبي الى ساحر ومن ساحر الى شاعر، وهلم جرّا، كما هو ظاهر في الآثار الأدبية المنسوبة اليه. والخلاصة أن كلّ ظاهرة في حياة هذا الشاعر تدلّ دلالة

صريحة واضحة على أنه لم يكن فى الحقيقة الا من بعض آلهة الأساطير الكلتية القديمة

ولا يقف كامبل عند هذا الحد ، بل يهاجم أنصار مكفرسن من ناحية أخرى . فهو يرى ، من مقابلة هذه المنظومات التى ادعى أنها مترجمة مع غيرها من الأشعار المتحدرة عن طريق الرواية والنقل الشفهى أن هناك اختلافاً وفرقاً كبيرين وواضحين فى الموضوع واللغة . فما (فنّ) كما هو مذكور فى القصائد التى تتداولها العامة إلا بطل إنسانى الخلق ، وديع الطبع سهله ، رقيق الاحساس ، ولطيف النفس ؛ لايعرف العنف والكبرياء ، فهو لذلك ذو نفوذ فى قبيلته ، تقوم سلطته على حبهم له وتعلقهم به ، بينما الناظر فى صفات (فنّ) كما جاء فى شعر مكفرسن يرى أنه فارس ساط غشوم ، وجهم عنيف ، خلو من كل عاطفة رقيقة وإحساس لطيف ! لهذا كان نفوذه وسلطانه مبنيين على خشية القوم له ورهبتهم منه

هذا ، عدا أنه لا ذكر فى القصائد المنقولة شفاهاً لملكة (مورفن) التى ورد ذكرها فى أشعار مكفرسن

أما من ناحية اللغة والأسلوب فالباحث فى هذا الأدب فى كلتا سبيليه : سبيل الرواية والنقل الشفهى ، وسبيل مكفرسن ، يرى أن لغة أدب مكفرسن مفعمة بالتعابير الحوشية ، والاصطلاحات الأجنبية التى تتميزها من اللغة المعروفة فى سكوتلندا الشمالية ، بينما لغة أدب الرواية والنقل الشفهى محكمة السبك ، موحدة التركيب متسقة الأسلوب ، لا اضطراب فى معانيها ولا ضعف

وخلاصة رأى كامبل أنه لم يكن فى اللغة الغالبقية أشعار كالتى ادعى مكفرسن أنها مترجمة ، وأن هذه اللغة التى استعملها فى كتاباته لم تكن فى الحقيقة إلا لغة القرن الثامن عشر ، وجلّ ما هنالك مجموعة أشعار قديمة وحديثة متنوعة ، كانت العامة تتداول معظمها بينها ، جمعها مكفرسن ورتبها وسواها بشكلها المعروف ، شأن المهندس الذى يخلق من البيت الأغريقى القديم بيتاً حديث الشكل والطراز

— ٤ —

والباحث يخرج من كل ما مرّ بخمس حقائق مجرّدة ، هى زبدة ما وصل اليه مؤرخو الأدب الانكليزى فى هذا السبيل الوعر الشاق :

١ — أن قصيدة أوسيان أو أوشان التى تنسب إلى مكفرسن لم تكن ترجمة خالصة من الآثار الأدبية الأصلية

٢ — أن مكفرسن استخلص منظوماته من آثار أدبية قديمة متفرقة ، وذلك بالجمع والغربلة والحذف والتعديل ، وخلع عليها ثوباً جديداً كفل لها الخلود فى عالم الأدب

٣ — أن جميع الظواهر تدل دلالة واضحة على أن مكفرسن لم يضع هذه الآثار الأدبية من عنده ، وأنه لم يتعد كونه فناناً حاذقاً عرف كيف يستخرج من أمزجة ومركبات عتيقة بالية قطعاً فنية رائعة ، وأن أوشان نفسه لم يكن المؤلف الحقيقى لهذا القصائد كما ادعى مكفرسن

٤ — اذا كان أوشان ناظم هذه القصائد ، عُدّ بحق فى طليعة شعراء العالم على الاطلاق

٥ — أن مكفرسن فتح بذلك فتحاً جديداً فى عالم الأدب ، فعمّت شهرته الأدبية أوروبا وبعد أثره فى الأدب الأوروبى عامة ، والانكليزى والألمانى خاصة

(يتبع)

جبرئيل القرس

لجنة التأليف والترجمة والنشر

أخرجت لجنة التأليف والترجمة والنشر كتاب علم الآثار تأليف الأستاذ جاردنر وتعريب الأستاذ محمود حمزه أمين بالتحف المصرى والدكتور زكى محمد حسن أمين دار الآثار العربية

وهو الرسالة الرابعة من خلاصة العلم الحديث ، استعرض فيها المؤلف تاريخ علم الآثار والنتائج التى وصل اليها المنقبون وعلماء الآثار فى العصر الحديث . وقد أطال فى تاريخ دراسة الآثار اليونانية ، وألم الماما بأحدث الاستكشافات فى القطر المصرى وبلاد ما بين النهرين . والكتاب طريف فى اللغة العربية لقلة ما كتب بها فى هذا الفن

والكتاب يقع فى ١٨٣ صفحة من القطع المتوسط ، وثمنه ستون مليما ، ويباع فى دار اللجنة رقم ٩ شارع الكرداسى بعابدين وفى المكاتب الشهيرة